روي انه صلى الله عليه وسلم قال كلوا جميعا ولا تفرقوا واذكروا اسم الله فان البركة
مع الجماعة ولما بين تعالى مواطن الاكل وكيفيته ذكر الحال التي يكون عليها الداخل
الى تلك المواطن او غيرها بقوله تعالى فاذا دخلتم اي بسبب ذلك او غيره بيوتا
اي من هذه البيوت فسلموا على انفسكم اي على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة جعل
نفس المسلمين كالنفس الواحدة كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم وقال ابن عباس
اذا لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا وقال قتادة اذا دخلت
بيتك فسلم على اهلك فهم احق من سلمت عليهم واذا دخلت بيتا لا احد فيه فقل
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا ان الملائكة ترد عليه تحية من
عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه مباركة اي لانه يرجى بها زيادة
الخير والثواب طيبة اي تطيب بها نفس المستمع والتحية طلب سلامة
وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها
دعوة مومن لمومن يرجى بها من الله تعالى الخير وطيب الرزق وعن انس رضي
الله تعالى عنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين
وروي تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي كسرته لم
كسرته وكنت واقفا على راسه اصب الما على يديه فرفع راسه فقال الا
اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي انت وامي يا رسول الله قال متى
لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم
يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين تحية تحية
منصوب على المصدر من معنى فسلموا انه من باب قعدت جلوسا فكانه قال
فحيوا تحية وقال القفال وان كان في البيت اهل الذمة فليقل السلام على من اتبع
الهدى وكرر قوله تعالى كذلك يبين الله اي الذي احاط بكل شيء علما لكم الايات
ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضي
لذلك وهذا بما هو المقصود فقال تعالى لعلكم تعقلون اي عن الله امره ونهيه
وادبه ولما كان امر الرسول صلى الله عليه وسلم اجل موطن يجب الاقامة فيه
ويهجر ما عداه من الاوطان قال تعالى انما المومنون اي الكاملون في الايمان
الذين امنوا بالله اي الملك الاعلى ورسوله اي ظاهرا وباطنا واذا كانوا معه
اي الرسول صلى الله عليه وسلم عليه على امر جامع اي يجمعهم من حرب حضرت
او صلاة جمعة او عيد او جماعة او تشاور في امر نزل ووصف الامر بالجمع
للمبالغة او من الاسناد المجازي لانه لما كان سببا في جمعهم نسب الفعل اليه
مجازا لم يذهبوا اي يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الامر
حتى يستاذنوه قال الكلبي كان النبي صلى الله عليه يعرض في خطبته بالمنافقين
ويعيبهم فينظر المنافق يمينا وشمالا فاذا لم يرهم احد انسلوا وخرجوا ولم
يصلوا وان ابصرهم احد ثبتوا وصلوا خوفا فنزلت هذه الاية فكان المومن

بعد

بعد نزولها لا يخرج لحاجة حتى يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنافقون
يخرجون بغير اذن قال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال اهل العلم
كذلك كل امر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا باذن
وهذا اذا لم يكن سبب يمنعه من المقام كان يكونوا في المسجد فتحيض منهم امراة
او يجنب رجل او يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستيذان ولما كان اعتبار الاذن
كالمصدق لصحة كمال الايمان والمميز للمخلص منه اعاده موكدا على اسلوب
ابلغ بقوله تعالى ان الذين يستاذنونك اي تعظيما لك ورعاية للادب
اولئك اي العالو الرتبة الذين يومنون بالله اي الذي له الامر كله ورسوله
فانه يفيد ان المستاذن مومن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك
ولما قصرهم على الاستيذان تسبب عن ذلك اعلامه صلى الله عليه وسلم بما يفعل
اذ ذاك بقوله تعالى فاذا استاذنوك لبعض شانهم وهو ما تشتد الحاجة اليه
فاذن لمن شئت منهم بالانصراف اي ان شئت فاذن وان شئت فلا تاذن
وفي ذلك تفويض الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدل به على ان
بعض الاحكام مفوض الى رايه قال الضحاك ومقاتل المراد عمر بن الخطاب وذلك
انه استاذن في غزوة تبوك في الرجوع الى اهله فاذن له وقال انطلق فوالله ما
انت بمنافق يريد ان يسمع المنافقين ذلك الكلام قالوا ما بال محمد اذا استاذن
اصحابه اذن لهم واذا استاذناه ابى فوالله ما نراه يعدل قال ابن عباس ان عمر
استاذن النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فاذن له وقال يا ابا حفص لا تنسانا في
صالح دعائك ولما كان في الاستيذان ولو لعذر قصور لان فيه تقديما لامر الدنيا على
امر الدين امره الله تعالى بان يستغفر لهم بقوله تعالى واستغفر لهم الله اي الذي له الامر
كله بعد الاذن ليكون ذلك شاملا لمن صحت دعواه وغيره ثم علل ذلك ترغيبا
في الاستغفار وتطييبا لقلوب اهل الاوزار بقوله تعالى ان الله اي الذي
لا يخفى عليه شيء غفور اي لفرطات العباد رحيم اي بالتيسير عليهم ولما
اظهرت هذه السورة بعمومها وهذه الايات بخصوصها من شرف الرسول
ما ابهر العقول صرح بتفخيم شانه وتعظيم مقامه بقوله تعالى لا تجعلوا
يا ايها الذين امنوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال سعيد بن جبير ومجاهد
معناه لا تنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا ابا القاسم
بل نادوه وخاطبوه بالتوقير فقولوا يا رسول الله يا نبي الله وعلى هذا يكون المصدر
مضافا للمفعول وقال المبرد والقفال لا تجعلوا دعاءه اياكم كدعاء بعضكم لبعض
فتباطئون عنه كما يتباطأ بعضكم عن بعض اذا دعاه لامر بل يجب عليكم المبادرة لامره
ويؤيده قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره وعلى هذا يكون المصدر مضافا
للفاعل وقال ابن عباس احذروا دعاء الرسول عليكم اذا اسخطتموه فان دعاءه
موجب ليس كدعاء غيره وروي عنه ايضا لا ترفعوا اصواتكم في دعائه وهو المراد

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)